كيف نعد الفتاة للزواج ؟

بقلم الاستاذ مصطفى جاد أبو العلا
دبلوم دار العلوم العليا

إن أول شيء يجب تلقينه للفتاة التي ستمسي ولها أولاد يلقى بيدها زمام تربيتهم والعناية بأمرهم هو :

(ا) تدبير الصحة : فقد يتفق كثيراً أن زوجها أو أحد أبنائها أو من له بها صلة قرابة يمرض فلا تدري ما ذا يجب عليها فعله للمريض حتى يحضر الطبيب، وقد يكون جهلها هذا داعياً إلى إيصال الأذى إلى المريض ، وإذا أشار عليها بعض النسوة اللائي لهن عشرة معها وخلطة بها وارتأين فعل شيء وقبل يسكن ألم المريض حتى يأتي الطبيب ، فقد يكون هذا الشيء جالباً إليه الأذى، خصوصاً وأنه صادر من جاهلات مثلها . . ؛ ومن هنا يتجلى للعاقل فائدة تعليم الفتاة ودرايتها بمبادىء قوانين الصحة وما يترتب على معرفتها ذلك من الفوائد الجمة .

(ب) تدبير المنزل ، حتى تحفظ حياة الأسرة وهناءتها ويصبح بيتها جنة تأوي إليها الأمهات يقتطفن من أثمارها أزواجاً ، وخير لأهلها أن يعلموها ذلك بالمنزل حتى تطبق العلم على العمل .

(ج) كيفية تربية الأولاد تربية تبعدهم عن الأسقام وتنئيهم عن العلل .

(د) العلم التام بكل شيء له علاقة بنظام المنزل : كترتيبه ، وكالطهي ، وغيره . . . حتى إذا لم تجد يوماً من الأيام عندها طاهياً مثلا قامت بأداء وظيفته دون أن تسبب لزوجها الكدر وتوقعه في بحر من اليأس .

(ه) الحياكة والأشغال اليدوية : مما يجب تلقينه للفتاة ويكمل به النظام العائلي، فدرايتها بهذه الأعمال ضرورى جداً .

بقي علينا أن نذكر أهم العلوم الأخرى التي تتعلمها البنت في المدرسة وسنذكر المفيد منها:

١ ـ القراءة والكتابة ، حتى يتسنى لها أن تطالع الكتب الأدبية وتوسع مداركها وأفكارها ، وحتى لا تجد ربات الخرافات والأوهام (كشيخات الزار)ـ مثلاـ سبيلا إلى إدخال ترهاتهم في عقلها .

٢ ـ الدين : فهو ضروري ولا خلاف في ذلك ، لأنها بقدر تدينها تكون محترمة في عين زوجها ، وتميل إلى عمل الخير وعدم اقتراف الذنوب وفعل المعاصي.

٣ ـ اللغة الوطنية : وفائدتها واضحة إذ أنها تبث في نفسها روح الغيرة على الوطن والذود

عنه فتجعلها تلقن ذلك لأولادها فيما بعد ؛ فينشأون ونفوسهم منصرفة إلى الدفاع عن الوطن وتعزيز جانبه دائما ، والعمل جهدهم فى سبيل رفعة بلادهم .

٤ ـ الحساب : لأنه يعينها فى المعاملات ، ولا أرى فى التاريخ فائدة كبرى ، إلا أن معرفتها بتاريخ الشهيرات من النساء لا بأس به ، فقد يسبب لها الميل إلى التشبه بهن والسعى فى جلب الفخر لها بعمل الأعمال العظيمة ... أما الباقى من العلوم كاللغات الأجنبية والتاريخ العام وغيره فلا أرى فيه فائدة كبيرة لها ، وقد قيل :

« ما أشبه بعض التعاليم ببلور النوافذ ، نستطيع أن نرى الحقيقة من خلالها ، ولكنها تفصلنا عن الحقيقة » .

الوقت الملائم لتعليم الفتاة :

رب قائل يقول : لقد سلمنا بضرورة تربية البنت وتعليمها ، أفلا نرى أنه يقف دون ذلك من الموانع الأدبية ما يجعلنا نفضل بقاءها جاهلة مع ما ذكرته من نتائج الجهل الوخيمة على أن تتعلم ؟

الجواب على هذا بدهى للغاية وهو :

إن تعليم البنت يجب أن يكون فى سن الحداثة ونهايته عند سن البلوغ ـ وإن كانت التربية النفسية عاصمة بطبيعتها من الزلل ـ ما دام خلاف ذلك يدعو إلى التعثير من عاقبة التعليم والاحجام عنه ، وبذلك لا يوجد لأحد حجة يحتج بها على أن لجهل المرأة فائدة ، وكل امرىء عنده مسكة من الشعور لا بد أن يقول « سعادة البشر فى تعليم المرأة وتهذيبها » .

وليس شرطاً على الرجل أن يذهب بها إلى المدرسة ، إنما يراد منه أن يعلمها سواء أكان ذلك فى المدرسة أم فى البيت ، ولا نطالبه بأن يساويها به ، وإنما نطالبه برفعها عن مستوى الجهل ، وعدم اعتباره إياها كالأنعام أو البهائم .

المهر والجهاز :

الآن قد وفقنا إلى الفتاة التى يجب اختيارها زوجة تخرج للمستقبل أولاداً نافعين مجدين يخدمون وطنهم ويحافظون على مكانتهم ويرفعون من شأنهم ، بقى علينا أن نتكلم عن الوسيلة إلى حيازتها ، وهى مسألة المهر والجهاز ، وهى من الأهمية بمكان :

فمن العادات السيئة : الاسراف فى الجهاز للعروس ، فان تلك العادة قد انتشرت فى بلادنا فكانت عاقبتها من أشنع العواقب : ضرر بين ، وفقر حاضر ، وخراب عاجل . يقولون لا بد للعروس من أن تصطحب جهازاً فيه ما تلذ الأعين ، سواء أكان ذلك يستعمل فى بيت زوجها أم لا ، ويلزم أن يكون فى ذلك الجهاز من الحلى ما غلا ثمنه وخف حمله ، ومن الثياب ماغلت قيمته ، ولان ملمسه ، وتعددت أشكاله ، وتنوعت ألوانه وأزياؤه ما يكفى الواحدة السنين الطوال ، كأنهم يريدون أن يفتحوا لها مخزناً فى بيت زوجها أو معرضا من معارض الحلى والملابس !!!

مسكين والد العروس يأخذ مهرها ويضيف إليه ما عنده من المال ويشرع فى جمع ذلك من كل مخزن وحانوت ، حتى إذا فرغ ما فى يده استدان وتناول أموال الناس خوفا من كلام النساء وصونا لكرامته من أقوال إخوانه . تذهب العروس إلى زوجها وتترك والدها يقاسى مضض الدين وآلامه ، وكم من رجال ذهب شرفهم وانحط قدرهم بسبب الجهاز . وقد شوهد أن بعض متوسطى الثروة أصبح بسبب تجهيز ابنته فقيراً ، وبات وعلى عاتقه من الديون أثقال يئن تحت عبئها ، على أن معظم الجهاز يكون قد فنى وتبدد وما بقى منه فقلما يستعمل . مالوالد العروس وهذه التكاليف الباهظة مع أن البيت باسم الزوج لا باسم الزوجة فان أعجبه ألا يفرشه أصلا فليكن ، وإن راقه أن يزخرف سقوفه وجدرانه بالذهب فليفعل ، وليس للزوج وأهله أن ينتظروا شيئا من العروس ، فهى وشأنها فى مالها ومهرها كما قضت به الشريعة السمحة . وحوادث الطلاق فيها عظات كبرى لو التفت إليها . تطلق المرأة وتذهب بجهازها إلى بيت أبيها فيظل مكدسا يرتع فيه العث والجرذان ، فاذا ما تزوجت ثانية وجدت أكثره تالفا لا يصلح للاستعمال ؛ والذى يدعو الرجل لهذا الاسراف هى زوجته « والدة العروس » ، لأنها تريد مناظرة غيرها من أهلها والعارفين بها ، ولماذا تقلد كل سيدة من هى أغنى منها ؟ وهل يعد التوسط فى الغنى والفقر عيبا ؟

وإن يعجبنى لا يعجبنى إلا المرأة الأوربية ، لا ترمى مالها كما تفعل المصرية فى أوان لا تستعملها ، وفى خرق تبلى بعد زمن قليل ، بل تستثمر ذلك المال فتنميه وتحفظه للعوز أو تدخره لأولادها من بعدها ، فهل للنساء الشرقيات أن يقلدن الغربيات فى طرق الاقتصاد وفعل الخيرات ؟ .

ومن أضرار الجهاز أنه كما يكلف والد العروس تلك التكاليف الجسيمة ، يلزم الزوج أيضا المهر الفادح ، فان والد الزوجة يجعل دائما نصب عينيه الجهاز الفخم ، وهذا يستدعى المغالاة فى طلب المهر ليستعين به على ذلك ، وكثيراً ما يكون الزوج عاجزاً عن قيمة المهر المطلوب ، ولكن إلحاح والد العروس وعزمه الأكيد يلجئانه إلى إنفاق جميع ما تملكه يده فيصبح فقيراً معدما أو مدينا ذليلا ، ويبتدىء حياته الجديدة بالهم الدائم والشقاء المستمر .

فالواجب يقضى على أهل البنات أن يردعوا صهرهم عن الاسراف إن حاول هو ذلك ، لا أن يحملوه عليه تلذذاً بالتحدث عنه أمام باقى العائلات .

من واجبات أهل العروس مساعدة الصهر قدر الامكان بشرط ألا يكلفوا أنفسهم ما لا طاقة لهم به لأن براحته ترتاح ابنتهم ، وإذا كان بناء بيته أو هيكل زواجه متيناً مدعوماً تكون سعادته وزوجه مضمونة ، والفضل فى مثل تلك الظروف لمن سبب السعادة وساعد عليها . وفى الحديث الشريف « أقلهن صداقاً أكثرهن بركة » .

(البقية على الصفحة رقم ٤٨٠)